

The Islamic University–Gaza  
Research and Postgraduate Affairs  
Faculty of Arts  
PhD of Arabic Language



الجامعة الإسلامية - غزة  
شئون البحث العلمي والدراسات العليا  
كلية الآداب  
دكتوراه لغة عربية

## أثر السياق في تحديد مرجعية الضمائر عند شراح الصحيحين في ضوء علم اللغة الحديث

### Effect of Context in Determining the Pronoun Denotation as Perceived by the Explainers of the Two Sahihs in Light of the Modern Linguistics

إعدادُ الباحثِ  
أحمد مصطفى أحمد الأسطل

إشرافُ  
الأستاذ الدكتور  
فوزي إبراهيم أبو فياض

قُدِّمَ هَذَا البحثُ إِسْتِكْمَالاً لِمَتَطَلُّبَاتِ الحُصُولِ عَلَى دَرَجَةِ الدُّكْتُورَاهِ  
فِي بَرْنَامِجِ النُّحُو وَاللُّغَةِ (عِلْمُ اللُّغَةِ) بِكُلِّيَّةِ الآدَابِ فِي الجامِعةِ الإِسْلَامِيَّةِ بِغَزَّةِ

سبتمبر/2017م - ذو الحجة/1438هـ

## إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

### أثر السياق في تحديد مرجعية الضمائر عند شراح الصحيحين في ضوء علم اللغة الحديث

### Effect of Context in Determining the Pronoun Denotation as Perceived by the Explainers of the Two Sahihs in Light of the Modern Linguistics

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

### Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	أحمد مصطفى أحمد الأسطل	اسم الطالب:
Signature:		التوقيع:
Date:		التاريخ:



## نتيجة الحكم على أطروحة دكتوراة

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ أحمد مصطفى أحمد الأسطل لنيل درجة الدكتوراة في كلية الآداب/ قسم اللغة العربية، وموضوعها:

### أثر السياق في تحديد مرجعية الضمائر عند شراح الصحيحين في ضوء علم اللغة الحديث

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم السبت 01 صفر 1439هـ، الموافق 2017/10/21م الساعة العاشرة صباحاً في قاعة مبنى الجنوب، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

.....	مشرفاً و رئيساً	د. فوزي ابراهيم أبو فياض
.....	مناقشاً داخلياً	أ.د. محمد رمضان البع
.....	مناقشاً داخلياً	أ.د. محمود محمد العامودي
.....	مناقشاً خارجياً	أ.د. كرم محمد زرنـدح
.....	مناقشاً خارجياً	أ.د. سلام عبد الله عاشور

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الدكتوراة في كلية الآداب/ قسم اللغة العربية.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. مازن اسماعيل هنية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى:

﴿ وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ  
وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ  
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[التوبة: 105].

## ملخص الرسالة باللغة العربية

تكمّن أهداف هذه الدراسة في كونها دراسة تطبيقية تقوم على بيان دور السياق في توجيه مرجعية الضمائر عند أهم شراح صحيحي البخاري ومسلم، وبيان أهم عناصر السياق اللغوي والمقامي عندهم، وبيان دور الضمير ومرجعه في التماسك النصي. وللوصول إلى ذلك فقد قسم الباحث دراسته إلى اثني عشر مبحثاً هي:

- أثر السياق في بيان مرجع الضمير على غير مذكور.
- أثر السياق في بيان مرجع الضمير العائد على مصدر الفعل.
- أثر السياق في بيان مرجع الضمير على متأخر (ضمير الشأن).
- أثر السياق في بيان مرجع الضمير على المضاف المحذوف.
- أثر سياق الروايات الأخرى للحديث في بيان مرجع الضمير.
- أثر سياق المقام في بيان مرجع الضمير.
- أثر السياق في بيان مرجع الضمير على البعيد.
- أثر السياق في بيان مرجع الضمير على الأقرب.
- أثر السياق في توجيه إعراب الضمير، وبيان مرجعه.
- أثر السياق الاحتمالي في توجيه مرجع الضمير.
- أثر السياق في توجيه العلاقة بين الضمير ومرجعه عن العدول عن المطابقة.
- أثر السياق في بيان مرجع ضمير الإشارة.

**مادة الدراسة وحدودها:** نظراً لسعة مادة الدراسة حيث إن كتب الشراح بالمئات، فقد رأى الباحث حصر الدراسة في نماذج متعددة من أهم كتب شراح صحيحي البخاري ومسلم، وخاصة تلك الشروح التي اهتمت بدور اللغة والسياق في توجيه مرجعية الضمائر.

**منهج الدراسة:** المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي، حيث قام الباحث باستقراء أكبر عدد من النماذج، والهدف من ذلك توضيح سمات المنهج السياقي عند هؤلاء الشراح، ودوره توجيه مرجعية الضمائر، ولعل السبب في توظيف الباحث لآليات المنهج الوصفي التحليلي؛ كون هذا المنهج يدرس النص بوصفه كلا متكاملًا، ووحدة واحدة لا تتجزأ.

**أهم نتائج الدراسة:** خرجت هذه الدراسة بمجموعة من النتائج التي أظهرت دور السياق في توجيه مرجع الضمير عن الشراح، وبيان أهم عناصره التي تنوعت إلى سياق لغوي، وسياق مقامي، اندرجت تحته مجموعة كبيرة من عناصره، مثل: السياق التاريخي، والثقافي، ومقصد المتكلم، والظروف المحيطة بالموقف الكلامي، وكذا بيان دور القرينة الإعرابية، وسياق الروايات الأخرى في توجيه مرجعية الضمائر، وبيان إشارتهم المهمة إلى ضمير الإشارة وعلاقته بالضمير العادي، وغير ذلك من الأمور التي وظفت خدمة لفهم النص الحديثي فهما لغويًا يقوم على إبراز دور السياق في توجيهها.

## Abstract

The objectives of this study are fulfilled through an applied study based on highlighting the role of the context in determining the pronoun denotation as perceived by the most prominent explainers of the Two Sahihs (Bukhari and Muslim). This included highlighting the most important elements of the linguistic and occasional contexts and the role of pronoun and its denotation in the textual coherence. To reach this, the researcher divided this study into twelve subjects, as follows:

- *Impact of the context in determining pronoun denotation in the case of the non-mentioned.*
- *Impact of the context in determining pronoun denotation which indicates infinitive.*
- *Impact of the context in determining pronoun denotation which indicates the delayed (pronoun of Sha'n).*
- *Impact of the context in determining pronoun denotation which indicates the deleted adjunct.*
- *Impact of the context of other narrations of the hadith in determining pronoun denotation.*
- *Impact of the occasional context in determining pronoun denotation.*
- *Impact of the context in determining pronoun denotation which indicates the remote.*
- *Impact of the context in determining pronoun denotation which indicates the nearest.*
- *Impact of the context in determining the pronoun syntax and denotation.*
- *Impact of the probable context in in determining pronoun denotation.*
- *Impact of the context in explaining the contradiction between the pronoun and its denotation in the case of the lack of conformity.*
- *Impact of the context in determining pronoun denotation in the case of demonstrative pronoun.*

**The subject and limits of the study:** Due to the great size of available literature, especially hadith explanations, the researcher decided to limit the study to the most important hadith explanations of the Two Sahihs (Bukhari and Muslim). The study gave more preference to those explanations that paid attention to the role of language and context in explaining the issue of pronoun denotation.

**The study methodology:** The method used in this study is the descriptive analytical method, through which the researcher carried out an induction process of the largest possible number of examples. This aimed to clarify the characteristics of the contextual approach adopted in investigated explanations, and the role of pronouns denotation in this regard. The rational of the use of the descriptive analytical method is based on the fact that this study tackles the text as an integral whole that could not be divided.

**The most important results of the study:** This study arrived at a set of results that highlighted the role of the context in directing pronouns' denotation as perceived by hadith scholars, and the most important contextual elements that distinguished the linguistic context from the occasional one. This included a wide range of contextual elements such as the historical, cultural, intentional, surrounding conditions, and syntax presumption. The study concluded that there is a great role of the context of other narrations in determining pronouns denotation, and the relationship between the demonstrative and ordinary pronouns. This is in addition to many other matters that have been used to understand the linguistic indications of the investigated hadiths considering the role of the context in this regard.

## الإهداء

- ✕ إلى والديَّ العزيزين، حفظهما الله، وأدام عليهما موفور الصحة والعافية.
- ✕ وإلى زوجتي الغالية، وأبنائي وبناتي، أسأل الله لهم السعادة والتوفيق في الدنيا والآخرة.
- ✕ وإلى إخواني وأخواتي وعائلتي، وإلى أصدقائي وزملائي، وطلابي، وإلى كلِّ من أحبَّ العربية، وأسهم في رقيها، وإعلاء كلمتها.
- ✕ وإلى علمائنا شراح الأحاديث النبوية الشريفة؛ علَّ الله أن ينفعنا بجهدهم، وأن يرزقنا بعضاً مما آتاهم من علم غزير، وحبَّ عظيم لكلام المصطفى صلى الله عليه وسلم.
- ✕ وإلى كلِّ مدافع شريف باع حياته لله أولاً، ثم للدفاع عن الأقصى الأسير. أسأل الله أن يمنَّ علينا، وعليه بالفرج القريب.

إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذا العمل المتواضع.

## شكر وتقدير

أحمد الله \_ عزَّ وجلَّ \_ على أن أسبغ عليَّ نعمته، ووفقني إلى إتمام هذه الرسالة،  
فله الحمد على ذلك أولاً وآخراً، وما توفيقى إلا به، عليه توكلت، وإليه أنبت في كلِّ أعمالي  
التي أسأله فيها الإخلاص في القول والعمل.

وعملاً بقول النبي ﷺ : «لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ» واعترافاً بالفضل لأهله،  
فإنني أتوجه بالشكر إلى الأستاذ الدكتور فوزي إبراهيم أبو فياض، المشرف على هذه  
الرسالة. أسأل الله أن يمنحه علم العارفين، ورفقة الصالحين في الدنيا والآخرة، ثمَّ شكري  
وتقديري إلى المناقشين لهذه الرسالة:

الأستاذ الدكتور: محمود محمد العامودي.

الأستاذ الدكتور: محمد رمضان البع.

الأستاذ الدكتور: كرم محمد زرنده.

الأستاذ الدكتور: سلام عبد الله عاشور.

والشكر موصول إلى الجامعة الإسلامية التي أعطت الباحثين الكثير، وذللت أمامهم  
الصعاب، وأخص بالشكر هنا الأساتذة الكرام في قسم اللغة العربية.

وأقدم كذلك بالشكر الجزيل لجامعتي العزيزة على قلبي، جامعة الأقصى، حفظها الله،  
وحفظ العاملين فيها جميعاً، وشكري الكبير وتقديري لمكتبة الجامعة والقائمين عليها حيث لم  
يخلوا عليَّ بالمراجع والكتب التي ساعدتني كثيراً في إنجاز هذه الرسالة.

كما أتقدم بشكري وتقديري للشيخ الدكتور يونس الأسطل على ما بذله من جهد قيم،  
في مراجعة هذه الرسالة -بارك الله له في عمره ووقته-، وكذا أقدم شكري لأخي وصديقي  
الدكتور محمد أبو غفرة -بارك الله فيه-.

وأخيراً لا أجد إلا الشكر الصادق لكلِّ إنسان وقف بجانبى، ولو بالكلمة الطيبة، أو  
الدعوة الصادقة، فلهم منى جميعاً شكري وتقديري المتواصل، جزاهم الله كل خير وبركة.

الباحث/ أحمد مصطفى أحمد الأسطل



## فهرس المحتويات

إقرار .....	أ
نتيجة الحكم .....	ب
اقتباس .....	ت
ملخص الرسالة باللغة العربية .....	ث
Abstract .....	ج
الإهداء .....	ح
شكر وتقدير .....	خ
فهرس المحتويات .....	د
المقدمة: الإطار العام للدراسة .....	1
المقدمة .....	2
أسباب اختيار الموضوع: .....	3
أهداف البحث: .....	5
الدراسات السابقة: .....	5
منهج البحث: .....	6
هيكل البحث: .....	6
التمهيد .....	8
المبحث الأول العلاقة بين الضمير والسياق .....	9
أولاً: الضمير لغة واصطلاحاً: .....	9
ثانياً: أقسام الضمائر عند القدماء والمحدثين: .....	11
ثالثاً: أهمية الضمائر في تماسك النص عند القدماء والمحدثين: .....	13
رابعاً: أهم الشروط التي يجب توافرها بين الضمير ومفسره: .....	18

19	خامسا: المقصود بمرجع الضمير:
22	سادسا: أقسام مرجع الضمير:
23	سابعا: الإحالة (Reference)، وعلاقتها بمرجع الضمير عند اللغويين النصيين:
25	ثامنا: أهمية الإحالة:
25	تاسعا: أقسام الإحالة:
26	عاشرا: دور السياق في بيان مرجعية الضمائر:
29	حادي عشر: أقسام السياق، ودوره في تماسك النص:
32	المبحث الثاني دور السياق في بيان مرجع الضمير عند العلماء:
32	أولا: دور السياق في بيان مرجع الضمير عند الأصوليين:
34	ثانيا: دور السياق في بيان مرجع الضمير عند النحاة:
36	ثالثا: دور السياق في بيان مرجع الضمير عند البلاغيين:
38	رابعا: دور السياق في بيان مرجع الضمير عند المفسرين:
42	<b>الفصل الأول أثر السياق في بيان مرجع الضمير على غير الصريح</b>
43	المبحث الأول أثر السياق في بيان مرجع الضمير على غير مذكور:
77	المبحث الثاني أثر السياق في بيان مرجع الضمير العائد على مصدر الفعل:
102	المبحث الثالث أثر السياق في بيان مرجع الضمير على متأخر (ضمير الشأن):
132	المبحث الرابع أثر السياق في بيان مرجع الضمير على المضاف المحذوف:
160	<b>الفصل الثاني أثر السياق الدلالي في بيان مرجع الضمير</b>
161	المبحث الأول أثر سياق الروايات الأخرى للحديث في بيان مرجع الضمير:
191	المبحث الثاني أثر سياق المقام في بيان مرجع الضمير:
225	المبحث الثالث أثر السياق في بيان مرجع الضمير على البعيد:
254	المبحث الرابع أثر السياق في بيان مرجع الضمير على الأقرب:

الفصل الثالث	أثر السياق التركيبي في بيان بعض القضايا اللغوية المتعلقة بالضمير	
ومرجعه	286.....	
المبحث الأول	أثر السياق في توجيه إعراب الضمير وبيان مرجعه	287.....
المبحث الثاني	أثر السياق الاحتمالي في توجيه مرجع الضمير	320.....
المبحث الثالث	أثر السياق في توجيه العلاقة بين الضمير ومرجعه عند العدول عن المطابقة	350.....
المبحث الرابع	أثر السياق في بيان مرجع ضمير الإشارة	388.....
النتائج	417.....	
المصادر والمراجع	422.....	
الفهارس العامة	435.....	
أولاً : فهرس آيات القرآن الكريم	436.....	
ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة	444.....	
ثالثاً: فهرس القوافي الشعرية	460.....	

المقدمة:

الإطار العام للدراسة

## المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، القائل في كتابه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:9]. والقائل: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:44].

والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، القائل: "أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ"<sup>(1)</sup>، فعليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من سار على دربه واقتفى أثره الصلاة والسلام إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد اهتم علماء اللغة قديماً وحديثاً بالحديث عن مرجع الضمير؛ وذلك لدوره الكبير في تفسير النصوص، وإزالة غموضها خاصة وأن الضمير من أهم خصائصه الإيهام، واهتموا أيضاً بالدور الذي يقوم به مرجع الضمير في تماسك النص، إضافة لذلك؛ فقد اهتموا بالسياق وما يؤديه من دور بارز في بيان هذا المرجع داخل النص الوارد فيه، وتحديدده، وترجيح مرجع على آخر في بعض الأحيان؛ إذا كان في النص أكثر من مرجع، ويحتاج أحدها إلى ترجيح، وربطوا كل ذلك بالسياقين اللغوي، والمقامي.

ويضاف إلى هؤلاء العلماء طائفة أخرى اهتمت كثيراً بعناصر اللغة في شرح النصوص، ويلاحظ أن الحديث حول جهدها اللغوي من قبل الباحثين قليل؛ إذا ما قورن بالحديث عن جهد المفسرين، أو النحويين، أو الأصوليين، أو البلاغيين، وهذه الطائفة هي طائفة شراح الأحاديث النبوية الشريفة؛ حيث إن من يقرأ إنتاجهم يتضح له أن لهم جهداً كبيراً يستحق أن يكون محلاً للدراسات اللغوية، وغيرها.

وإذا كانت مناهج المفسرين لكتاب الله تعالى على مدار العصور قد تفاوتت، فإن مناهج شراح الحديث -أيضاً- قد تفاوتت في الشرح، فهناك شروح مطولة، وأخرى مختصرة، ومن هذه وتلك شروح خاصة بالمتون، وشروح تتعلق بالأسانيد، كما وجدت كتب ألفها أصحابها لشرح غريب الحديث الشريف، أو لبيان مشكله، أو ناسخه ومنسوخه، أو إعرابه، وغير ذلك.

---

(1) [أبو داود: سنن أبي داود، السنة/في لزوم السنة، 200/4: رقم الحديث 4604].

إنَّ ما يهمننا في هذه الدراسة هو تلك الشروح التي تعنى باللغة، وتجعلها وسيلة من وسائلها عند شرح الحديث الشريف؛ مثل: فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني، وعمدة القاري للحافظ بدر الدين العيني، وشرح النووي على صحيح مسلم للنووي، وغيرها كثير.

**ويمكن القول:** إنَّ محاولة الباحث في هذه الدراسة هي الحديث عن اهتمام شراح الصحيحين تحديداً، أو بعض العلماء الذين تناولوا أحاديث كثيرة وردت في الصحيحين بالشرح، وبيان دور السياق في تحديد مرجعية الضمير، وتوجيهه.

ولا يتعلق أمر الدراسة باختلاف هؤلاء حول بيان مرجعية الضمير في الأحاديث النبوية الشريفة فقط؛ بل وما يتعلق كذلك بالتبويبات التي ذكرت في الصحيحين، وكان لها علاقة بالسياق ودوره في بيان مرجعية الضمير عند الشراح، خاصة وأن هذه التبويبات في كثير من الأحيان تحمل فقه المبوب، ومن ثم فقد تناولها الشراح، وبيّنوا أثر السياق في توجيهها.

إنَّ نصوص الحديث الشريف، كما النصوص القرآنية، لا تفسر الجملة منها، أو اللفظة منفردة، وإنما يفسرها ما حولها من ألفاظ وجمل، وهو ما يسمى بالسياق اللغوي، وقد يفسرها ما هو من خارج النص، مثل: أسباب الورود، ومقصد المتكلم، وزمان الكلام ومكانه، وكذا السياق التاريخي، والثقافي، وأطراف الكلام، وغير ذلك من الأمور التي تتدرج ضمن ما يسمى بسياق الحال. وهذان السياقان كان لهما دور كبير في فهم دلالة النص، وإزالة الغموض عن تراكيبه في كثير من الأحيان.

### **أسباب اختيار الموضوع:**

ترجع أسباب اختيار الموضوع إلى الآتي:

**أولاً:** إنَّ مرجع الضمير كان مبحثاً صغيراً من رسالة الماجستير التي قدمتها في الجامعة الإسلامية، وكان عنوانها (أثر السياق في توجيه شرح الأحاديث عند ابن حجر العسقلاني)، وقد كنت أرجع لبعض الأحاديث؛ لأكشف عن مرجع الضمير فيها، أو أبين أثر هذا المرجع في المعنى، فهذا البحث مكمل للجهد الذي قمت به في رسالة الماجستير؛ إضافة لذلك فإن هذا الموضوع هو عنوان رسالتي التي قيدت باسمي في جامعة عين شمس في عام 2012م لنيل شهادة الدكتوراه، وعين الدكتور محمد العبد مشرفاً عليها، وما منعني من إكمالها في مصر إلا الظروف التي حصلت بعد ذلك، وحالت بيني وبين السفر، كالحال مع جميع أهلنا في القطاع العزيز.

**ثانيا:** رغبة الباحث في المساهمة في خدمة الحديث الشريف، فهو أعظم نص لغوي يأتي بعد القرآن الكريم، وذلك من خلال التعمق في فهمه فهما لغويا يقوم على أساس إبراز دور السياق بعناصره في توجيه النص.

**ثالثا:** اهتمام الباحث بشروحات الصحيحين من خلال الدراسة والبحث؛ حيث إن غالب تلك الشروحات -في تفاوت بينها- قد عنت بالحديث عن الجوانب اللغوية: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، والبلاغية، وغير ذلك.

**رابعا:** قلة البحوث والدراسات اللغوية التي تناولت جهود هؤلاء العلماء، فالدراسات حول هذا الموضوع قليلة، مقارنة بالدراسات التي تناولت جهود المفسرين، والفقهاء، وغيرهم.

**خامسا:** ميل الباحث لهذا النوع من الدراسة، أعني توظيف السياق في بيان مرجعية الضمير، خاصة وأن الضمير وما يتعلق به من مفسر، يحتل مكانة بارزة في الجملة العربية؛ لأنه يقوم بدور أساس في الربط بين أجزائها، وبدونه لا يمكن للمتلقي أن يلمس التماسك النصي بين أجزاء النص، ولا أن يفهم المعنى فهما سليما، كما أن هذا الضمير يحتاج إلى السياق المحيط لمعرفة المشار إليه، ولما كان للضمير وما يتعلق به من مرجع هذه الأهمية، كان جديرا بالدراسة والبحث.

**سادسا:** إنَّ الكلام عن مرجع الضمير متفرق في كتب شروحات الأحاديث، وكتب إعراب الأحاديث، فأردت أن أجمع هذا الكلام الذي ورد فيه الحديث عن مرجع الضمير في موضع واحد؛ ليسهل الرجوع إليه.

**سابعا:** من أهداف البحث إظهار أن كثيرا من شراح الأحاديث الذين اهتموا بنحو الجملة، اهتموا -أيضا- بما يسمى عند المحدثين بنحو النص، حيث وردت أسبقيتهم في كثير من الإشارات والمعالجات التي تتصل بالنصية في تحليلاتهم، ومنها: إشارتهم إلى السابق واللاحق، وما هو خارج النص، وحديثهم عن مقصد المتكلم في توجيه مرجع الضمير، وحديثهم عن تعدد مرجع الضمير، وتحديد من خلال ربطه بالسياق، وحديثهم عن ضمير الإشارة وتوجيه مرجعه، وكذا الربط بين النصوص الحديثية والقرآنية، والنظرة الشاملة للنصوص من خلال الجمع بين الروايات، وغير ذلك من القضايا التي تتدرج ضمن علم اللغة النصي.

إنَّ البحث هو دراسة لغوية بالأساس، إضافة لذلك؛ فإنه لا يغفل الجانب النحوي، أو الجانب الدلالي، كما أن الباحث يهدف إلى بيان الاختلافات القائمة بين شراح الصحيحين،

وكيف أثر السياق في توجيهها، وذلك في بعض النصوص التي تحتاج إليه، وسيكون ذلك من خلال رصد نماذج كثيرة تدلل على دور السياق بنوعيه في توجيه القضايا اللغوية عند هؤلاء الشراح.

### أهداف البحث:

لهذا البحث دوافع أساسية، ودوافع ثانوية، وتتمثل الأساسية في كون هذه الدراسة تطبيقية تقوم على بيان طريقة الشراح في توجيه مرجعية الضمائر عند شراح الصحيحين، ومدى اعتمادهم على قرينة السياق، سواء أكان السياق لغوياً، أم كان غير لغوي. وأما الدافع الثاني فيتمثل في محاولة الباحث استقصاء أقسام مرجعية الضمير الواردة عند هؤلاء الشراح، واختيار كثير من النماذج التي تطبق من خلالها الدراسة.

### الدراسات السابقة:

على الرغم من أهمية هذا الموضوع، وتعلقه الكبير بالدراسات اللغوية في الحديث الشريف، فإن الدراسات التي تناولته قليلة جداً، ولعل من أهم ما اطلع الباحث عليه هاتين الدراستين:

1- أثر السياق في توجيه شرح الأحاديث عند ابن حجر العسقلاني، أحمد مصطفى أحمد الأسطل، (رسالة ماجستير)، الجامعة الإسلامية بغزة 1432هـ-2011م، وقد تكونت هذه الدراسة من أربعة فصول، وكان الفصل الثاني مكوناً من مجموعة من المباحث التي تعلقت بأثر السياق في توجيه العلاقات التركيبية، وقد تحدث فيه الباحث عن دلالة الصيغة، وحروف المعاني، وتوجيه الحذف، ومرجع الضمير، وتوجيه الإعراب، وتوجيه بعض الصيغ الإنشائية، وكان ذلك بصورة مختصرة.

2- مع أن موضوع هذا البحث لم يدرس من قبل -حسب علمي- لا أستطيع الادعاء بأنه جديد كل الجدة، ولا سيما بعد اطلاعي عندما شارفت على الانتهاء من كتابته على بحث له بعض الصلة ببحثي عنوانه "عود الضمير في الحديث النبوي الشريف في متن صحيح البخاري، دراسة نحوية"، للباحث: غازي فيصل عزاوي اللهيبي، (رسالة ماجستير)، جامعة ديالى، العراق 1435هـ-2014م، وقد تكونت هذه الرسالة من أربعة فصول. وتتفق دراسته في ذكر بعض الأحاديث التي ذكرت في دراستي ظهر فيها مرجع الضمير، ولكنها تختلف عنها في أن الباحث في رسالة "عود الضمير" ركز دراسته على الجانب النحوي فقط، بخلاف دراستي؛ فتركيزها هو على بيان دور السياق كقرينة



تفسيرية استثمارها شراح الصحيحين في بيان مرجعية الضمير، يضاف لذلك فإنّ هناك فروقاً أخرى بين الدراستين، وهي أنّ الباحث في رسالة "عود الضمير" قصر دراسته على متن صحيح البخاري، في حين أنّ دراستي تهتم باستقراء أثر السياق في توجيه مرجعية الضمير من خلال أقوال أشهر شراح صحيح البخاري ومسلم، إضافة لبعض الشراح الذين تناولوا أحاديث وردت في الصحيحين ولم يشرحوا أحاديث الصحيحين كاملة، ويضاف لذلك دور السياق في توجيه كثير من التبويبات المتعلقة بالصحيحين، وخاصة صحيح البخاري، حيث وجّه هؤلاء مرجعية الضمير فيها، كما أنّ كثيراً من مباحث دراستي تختلف عن مباحث رسالته في تناول والأهداف، بارك الله فيه.

### منهج البحث:

إنّ المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي، باعتباره المنهج الأنسب لمثل هذه الدراسات، مع استقراء كثير من النماذج الخاصة ببيان دور السياق في توجيه مرجعية الضمائر، وضبط المعنى، وتقليل نسبة الخلاف بين العلماء بتوظيف السياق في الترجيح في كثير من القضايا المتعلقة بالنص الحديثي، وكذا أثره في دقة الاستنباط، واستبعاد الغريب من الأقوال في بعض الأحيان، ومن ثمّ عرض هذه النماذج، وتحليل الآراء فيها، وإبراز الجانب الدلالي، مع ربط أقوال هؤلاء الشراح بأقوال علماء اللغة المحدثين قدر الإمكان؛ وذلك لبيان فضل سبق لهم في كثير من القضايا التي ظهر فيها دور السياق واضحاً في توجيه مرجع الضمير، ودوره في التماسك النصي.

### هيكل البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

أما المقدمة: فقد خصصها الباحث للحديث عن أسباب اختيار الموضوع، وأهدافه، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع في هذه الدراسة، كما سلف بيانه.

وأما التمهيد فقد قسمته إلى مبحثين: تكلمت في المبحث الأول عن الضمير وعلاقته بالسياق، وفيه تعريف الضمير لغة واصطلاحاً، وأقسام الضمير عند القدماء والمحدثين، وأهمية الضمائر في تماسك النص، وأهم الشروط التي يجب توافرها بين الضمير ومفسره، والمقصود بمرجع الضمير لغة واصطلاحاً، وأقسام مرجع الضمير، ومصطلح الإحالة وعلاقته بمرجع الضمير عند النصيين، وأهمية الإحالة عند اللغويين المحدثين، وأقسام الإحالة، ودور السياق في بيان مرجعية الضمائر، وأقسام السياق ودوره في تماسك النص.

أما **المبحث الثاني** فقد تكلمت فيه عن أثر السياق في بيان مرجعية الضمير عند العلماء، وتحدثت عن دور السياق في بيان مرجع الضمير عند الأصوليين، وعند النحاة، وعند البلاغيين، وعند المفسرين.

وأما **الفصل الأول** فقد جعلت عنوانه: أثر السياق في بيان مرجع الضمير على غير الصريح، وقد قسمته للمباحث الأربعة الآتية:

المبحث الأول: أثر السياق في بيان مرجع الضمير على غير مذكور.

المبحث الثاني: أثر السياق في بيان مرجع الضمير العائد على مصدر الفعل.

المبحث الثالث: أثر السياق في بيان مرجع الضمير على متأخر (ضمير الشأن).

المبحث الرابع: أثر السياق في بيان مرجع الضمير على المضاف المحذوف.

أما **الفصل الثاني** وعنوانه: أثر السياق اللغوي والمقامي في بيان مرجع الضمير، وقد قسمته إلى أربع مباحث كذلك:

المبحث الأول: أثر سياق الروايات الأخرى للحديث في بيان مرجع الضمير.

المبحث الثاني: أثر سياق المقام في بيان مرجع الضمير.

المبحث الثالث: أثر السياق في بيان مرجع الضمير على البعيد.

المبحث الرابع: أثر السياق في بيان مرجع الضمير على الأقرب.

أما **الفصل الثالث** وعنوانه: أثر السياق في بيان بعض القضايا اللغوية المتعلقة بالضمير ومرجعه، وقد قسمته إلى المباحث الأربعة الآتية:

المبحث الأول: أثر السياق في توجيه إعراب الضمير، وبيان مرجعه.

المبحث الثاني: أثر السياق الاحتمالي في توجيه مرجع الضمير.

المبحث الثالث: أثر السياق في توجيه المغايرة بين الضمير ومرجعه.

المبحث الرابع: أثر السياق في بيان مرجع ضمير الإشارة.

ثم تأتي **الخاتمة**؛ لتستخلص أهم النتائج التي خلص إليها الباحث، يليها قائمة المراجع.

التعميد

## المبحث الأول

### العلاقة بين الضمير والسياق

يتضمن هذا التمهيد تحديدا لمفاهيم بعض المصطلحات الأساسية التي وردت في البحث، وعلاقة هذه المصطلحات بالسياق.

#### أولاً: الضمير لغة واصطلاحاً:

##### (أ) الضمير لغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت395هـ): "ضمَر: الضاد والميم والراء أصلان صحيحان: أحدهما يدلُّ على دَقَّةٍ في الشَّيْءِ، والآخر يدلُّ على غَيْبَةٍ وتَسْتَرٍ. فالأوَّل قولهم: ضَمَرَ الفرس وغيرُهُ ضُموراً، وذلك من خَفَةِ اللَّحْمِ، وقد يكون من الهُزَال. ويقال للموضع الذي تُضَمَّرُ فيه الخيل: المِضْمَار. ورجل ضَمَرَ: خَفِيف الجسم"<sup>(1)</sup>.

وقال ابن منظور (ت711هـ): "الضمير فعيل بمعنى فاعل، فضمير بمعنى ضامر من الضمور؛ لأن معظم الضمائر تتكون من حرف واحد كتاء الفاعل، وواو الجماعة. والضمير: السرّ، وداخل الخاطر، والجمع: ضمائر. وأضمّره: أخفاه. والضمير: الشيء الذي تضمّره في قلبك. تقول: أضمّرت صرف الحرف، إذا كان متحركاً فأسكنته، وأضمّرت في نفسي شيئاً، والاسم الضمير. قال أبو عبيد (ت224هـ): المال الضمّار: هو الغائب الذي لا يرجى"<sup>(2)</sup>.

يتضح مما ورد أنّ مادة "الضمير" في معاجم اللغة تدور معانيها حول: الهزال، والضعف، والتستر، والإخفاء؛ ولعلّ هذه المعاني اللغوية هي التي جعلت علماء النحو يسمون الضمير بهذا الاسم.

قال ابن هشام (ت761هـ): "وإنما سمي مضمراً من قولهم: "أضمّرت الشيء" إذا سترته وأخفيته، ومنه قولهم: "أضمّرت الشيء في نفسي"، أو من الضمور وهو الهزال؛ لأنّه في الغالب قليل الحروف"<sup>(3)</sup>، ومعظم الضمائر كلمات صغيرة التكوين ضئيلة الحجم، وكلُّ واحدٍ

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج3/371).

(2) ابن منظور، لسان العرب (ج4/493).

(3) ابن هشام، شرح شذور الذهب (ص75).

منها يعبر عن معنى مقصود، ولا يظهر إلا بما يعين على ذلك من تكلم وخطاب، وسبق ذكر الغائب<sup>(1)</sup>.

### (ب) الضمير اصطلاحاً:

اعتنى العلماء القدامى بظاهرة الإضمار وضوابطه، وبحثوا القوانين التي تنتظم الضمائر، وقد جاءت أعمالهم موزعة في أبواب نحوية مختلفة، تنسم بطابع التعميم، وهذا ما جعل من الإضمار مفهوماً لغوياً متعدد المعاني والدلالات، حيث يقصد به تارة الضمائر، وتارة أخرى يستعمل للدلالة على الحذف، وأحياناً أخرى يوظف لوصف العملية التي يحل فيها الضمير محل الاسم الظاهر<sup>(2)</sup>.

وكلام الباحث هنا سيكون منصبا على الدلالة الأولى، حيث عرّف الرضي الإستراباذي (ت686هـ) الضمير بأنه اللفظ الذي وضع للدلالة على متكلم نحو: (أنا، ونحن)، أو مخاطب نحو: (أنت، وأنتما)، أو غائب نحو: (هو، وهما)، والضمير بمعنى المضمر، وهو مبني، ولذلك لا يثنى، ولا يجمع، وإنما يدل بذاته، وتكوين صيغته على المفرد المذكر، أو المؤنث، أو على المثنى والجمع بنوعيهما<sup>(3)</sup>.

وأضاف الشيخ خالد الأزهرى (ت905هـ) قائلاً: المضمر: اسم مفعول من أضمرته، إذا أخفيته وسترته، وإطلاقه على البارز توسع، والضمير: بمعنى المضمر على حد قولهم: عقدت العسل، فهو عقيد؛ أي: معقود، وهو اصطلاح بصري، والكوفية يسمونه كنايةً ومكنياً؛ لأنه ليس باسم صريح، والكناية تقابل الصريح، فالضمير، والكناية بالاصطلاحين اسمًا لما وضع لتعيين مسماه، وهو إما "متكلم، ك: أنا"، بزيادة الألف عند البصريين، وبأصالتها عند الكوفيين، "أو المخاطب ك: أنت" بزيادة التاء عند البصريين، وبأصالتها عند بعض الكوفيين، "أو الغائب ك: هو"، بتمامها عند البصريين، والهاء وحدها عند الكوفيين<sup>(4)</sup>.

(1) جبر، الضمائر في اللغة العربية (ص12).

(2) ينظر: الغريسي، اللسانيات العربية والإضمار (ص1).

(3) ينظر: الرضي، شرح الكافية (ج2/3).

(4) ينظر: الأزهرى، شرح التصريح على التوضيح (ج1/97).

وكان ابن يعيش (ت643هـ) قد ذكر أنه: "لا فرق بين المضمّر، والمكنّى عند الكوفيين، فهما من قبيل الأسماء المترادفة فمعناها واحد، وإن اختلفا من جهة اللفظ، وأمّا البصريون فيقولون: المضمّرات نوعٌ من المكنيات، فكلُّ مضمّر مكنّى، وليس كلُّ مكنّى مضمراً"<sup>(1)</sup>.

أما عند المحدثين، فلم يختلف تعريفهم للضمير عن القدماء كثيراً، حيث أشاروا إليه ضمن ظاهرة الإضمار التي تعدّ من أهم الوسائل التي توظفها اللغة، وتهدف من خلالها إلى الاقتصاد في الجهد العضلي، والذهني، وذلك بأنّ الإضمار ظاهرة تركيبية، ودلالية، وأسلوبية يفرضها مقام الخطاب، وتقوم أساساً على تحويل الأسماء الظاهرة إلى ضمائر رغبة في الإيجاز، والاختصار<sup>(2)</sup>، فقد عرّف الدكتور نعمان بوقرة مصطلح الضمير في معجمه، فقال: "هو اسم جامد يقوم مقام اسم ظاهر للمتكلم، أو المخاطب، أو الغائب، والغرض من الإتيان به الاختصار، وهو أقوى أنواع المعارف، والضمير لا يدلُّ على مسمى كالاسم، ولا على الموصوف بالحدث كالصفة، ولا حدث وزمن كالفعل، فالضمير كلمة جامدة تدلُّ على عموم الحاضر والغائب، دون دلالة على خصوص الغائب أو الحاضر"<sup>(3)</sup>.

أما تعريف الضمير في اللغة الإنجليزية، فإنّه كلمة تحلُّ محل اسم؛ لتدلُّ على شخص، أو شيء سبق ذكره، أو عُرِفَ من سياق الكلام<sup>(4)</sup>.

**وخلاصة القول:** إنّ هناك صلةً أو تطابقاً كاملاً بين الاستعمالين اللغوي والاصطلاحي للضمير، حتى بالنسبة للنوع المستتر من الضمائر، فإطلاق لفظ الضمير عليه أيضاً موافق لحقيقة الأمر وواقع الحال، بيد أنّ إطلاقه على النوع البارز هو من باب التوسع والمجاز، إضافة لذلك فإنّ كتب النحو العربي تناولته تحت مسميات مختلفة: الضمير، المضمّر، المكنيات، المبهمات، وكلّها مسميات لمسمى واحد<sup>(5)</sup>.

### ثانياً: أقسام الضمائر عند القدماء والمحدثين:

أورد النحاة ذكر الضمير في باب النكرة والمعرفة، فهو عندهم أول أنواع المعارف، وقد قسموه تقسيمات مختلفة، إذ إنّها تنقسم إلى: ضمير غيبة، وضمير حضور، وضمير

(1) ابن يعيش، شرح المفصل (ج3/84).

(2) ينظر: الغريسي، اللسانيات العربية والإضمار (ص1).

(3) بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (ص122).

(4) ينظر: الغريسي، اللسانيات العربية والإضمار (ص15).

(5) ينظر: الشايب، ضمائر الغيبة، أصولها وتطورها (ص11).

الحضور هذا ينقسم إلى ضمير المخاطب، وضمير المتكلم، وعددوا ضمائر المتكلم، وضمائر المخاطب، وضمائر الغائب، كما قسّموا الضمير إلى مستتر وبارز، وقسموا البارز إلى متصل ومنفصل...إلخ.

ويظهر من كلام النحاة عن الضمير أنّ تعريفهم له قاصر على أنواع معينة من الضمائر، وهي تلك الضمائر التي تدلّ على الحضور، أو الغيبة، أو ما يطلق عليه ضمائر الأشخاص، بمعنى أنّ تركيزهم في دراسة الضمير كان على دراسته بمفهومه كاسم يدل على المتكلم، أو المخاطب، أو الغائب؛ إضافة لذلك فقد ذكروا أنّ هذه الضمائر مبهمة، وبخاصة ضمائر الغائب لعدم دلالتها على معين، ولذلك احتاجت إلى ما يفسرها، ويوضح معناها.

أما أقسام الضمير عند علماء اللغة المحدثين فإنّها توسعت لتشمل أنواعا ثلاثة: الضمائر الشخصية، وضمائر الإشارة (أسماء الإشارة)، والضمائر الموصولة (الأسماء الموصولة)<sup>(1)</sup>.

وفي ذلك يبين الدكتور تَمّام حسان أنّ تعريف القدماء للضمير فيه بعض القصور، فهو يقول: "المقصود بالضمائر ضمائر الأشخاص، والإشارات، والموصولات، وذلك ضمن تقسيم جديد للكلم في اللغة العربية، ولقد قبل النحاة قول ابن مالك في الألفية:

فَمَا لَذِي غَيْبَةٍ أَوْ حُضُورٍ      كَأَنْتَ وَهُوَ سَمٌّ بِالضَّمِيرِ<sup>(2)</sup>

ولو أنصف ابن مالك (ت672هـ) لأضاف إلى عبارة "أنت"، و "هو" لفظين آخرين أحدهما من الإشارات يمثل معنى الحضور، والآخر من الموصولات ليمثل الغيبة، وبذلك يشمل مصطلح الضمير الأنواع الثلاثة جميعا"<sup>(3)</sup>.

إضافة لذلك فإنّ الدكتور مهدي المخزومي من النحاة المحدثين الذين وسّعوا من مدلول الضمير ليشمل أسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، حيث جمع بين الضمير والإشارة والموصول وذكر أنّ أسماء الإشارة تؤدي وظيفة كما تؤديها الضمائر، وأمّا الأسماء

(1) ينظر: حسان، الخلاصة النحوية (صص 91-92).

(2) ابن مالك، ألفية ابن مالك في النحو والصرف (ص12).

(3) حسان، اجتهادات لغوية (ص225). ويعقب الدكتور محمد عبد الله جبر على هذا التقسيم فيقول: "وهذا التقسيم شبيه بما في اللغات الأوروبية الذي يضم الضمائر والموصولات والإشارات فكلّها عندهم تندرج تحت اسم الضمير". جبر، الضمائر في اللغة العربية (ص10).

الموصولة فهي كالضمائر وأسماء الإشارة تؤدي ما تؤديه من وظيفة؛ بل هي في الأصل من أسماء الإشارة<sup>(1)</sup>.

ويلاحظ أن الأقسام الثلاثة التي ذكرت تنتمي إلى فصيلة واحدة باشتراكها في مجموعة من السمات، من حيث المبنى والمعنى، منها: أنها ثلاثتها تحل محل الاسم الظاهر، وأنها من المبنيات، وأنها جميعاً مفتقرة إلى القرائن باعتبارها شرطاً أساسياً لدلالاتها على معين؛ فضمير المتكلم، والمخاطب، والإشارة قرينتها الحضور، كما أنه يحتاج إلى مشار إليه، وأنها ثلاثتها تدل على حضور أو غيبة، وضمير الغائب قرينته المرجع المتقدم إمّا لفظاً، أو رتبةً أو هما معاً، فهذا المرجع هو القرينة التي تدل على المقصود بضمير الغائب، وأمّا الموصول فقرينته جملة الصلة التي تشرح المقصود به، وترتبط به بواسطة ضمير فيها يعود عليه، وأنها ثلاثتها تأتي روابط في السياق<sup>(2)</sup>.

### ثالثاً: أهمية الضمائر في تماسك النص عند القدماء والمحدثين:

تكلم العلماء القدامى عن أهمية الضمير في التماسك النصي، وقد أشار إلى ذلك الخطابي (ت388هـ) حيث ذكر أن ركائز الكلام ثلاثة، وهي: "لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لها ناظم"<sup>(3)</sup>، وأشار الرضي (ت686هـ) إلى أهمية الضمير في الربط بين الجمل، فقال: "الجملة في الأصل كلام مستقل، فإذا قصدت جعلها جزء الكلام، فلا بد من رابطة تربطها بالجزء الآخر، وتلك الرابطة هي الضمير، إذ هو الموضوع لمثل هذا الغرض"<sup>(4)</sup>.

أما ابن هشام (ت761هـ) فقد ذكر في كتابه "مغني اللبيب" كلاماً عن "روابط الجملة بما هي خبر"، وذكر أن "أحدها: الضمير وهو الأصل، ولهذا يربط به مذكوراً كـ"زيد ضربته"، ومحدوفاً مرفوعاً نحو: ﴿إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ أَرِنَا﴾ [طه:63]، إذا قدر: لهما ساحران، ومنصوباً

---

(1) ينظر: المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، (ص201)؛ وينظر: بحيري، دراسات لغوية تطبيقية (ص126)؛ وحسنين، الدلالة والنحو (ص235)؛ وخطابي، لسانيات النص (ص176).

(2) ينظر: حسان، اللغة العربية معناها ومبناها (ص110)؛ وأنيس، من أسرار العربية (ص291-293).

(3) ينظر: الخطابي، بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (ص27).

(4) الرضي الإسترابادي، شرح الرضي على الكافية (ج1/238).



كَقَرَاءَةِ ابْنِ عَامِرٍ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد:10]<sup>(1)</sup>، ولم يقرأ بذلك في سورة النساء، بل قرأ بنصب (كل) كالجماعة؛ لأنَّ قبله جملة فعلية، وهي ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ﴾ [النساء:95]، فساوى بين الجملتين في الفعلية؛ بل بين الجمل؛ لأنَّ بعده ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ﴾ [النساء:95]، وهذا مما أغفلوه، أعني الترجيح باعتبار ما يعطف على الجملة<sup>(2)</sup>.

يظهر من الكلام السابق اهتمام العلماء القدامى ببيان أثر الضمير في التماسك النصي، ودوره الأساسي في بناء الجملة العربية، فهو يربط أجزاء الكلام بعضه ببعض؛ فيربط جملة الخبر بالمبتدأ، أو بما أصله المبتدأ، ويربط جملة النعت بالمنعوت، وجملة الحال بصاحبها، وجملة الصلة بالموصول، والجملة المتعاطفة بما تعطف عليه، كما أن له قيمة لغوية تتعلق بالمعنى وهي رفع الالتباس وتحقيق الإيجاز<sup>(3)</sup>.

أما كلام ابن هشام فهو واضح وبيِّنٌ حول أهمية الضمير في تماسك النص، وأنه أصل الروابط، فعند حديثه عن جملة "زيد ضربته" أرجع الضمير إلى زيد، وبهذه العودة تحقق الارتباط بين زيد المذكور، وما بعده، أمَّا في الآيتين اللتين استشهد بهما بعد المثال، فيظهر أنَّ ابن هشام أدرك أنَّ هناك ضميراً محذوفاً، وإلَّا لم يكن هناك ارتباط في الآية الأخيرة بين كلمة "كل"، والجملة التي تليها، ولا بد من هذه الروابط ليتحقق للنص ترابطه وتماسكه.

إنَّ كلام ابن هشام السابق في الحديث عن الروابط يستوعب أغلب الروابط التي ذكرها علماء النص المعاصرون<sup>(4)</sup>، وكلامه في الضمير ومرجعه جعل المحدثين يثنون عليه ثناءً كبيراً، فقد قال الدكتور صبحي الفقي: "وإذا انتقلنا نقلة زمنية كبيرة لنصل إلى مفكرٍ لغوي من مفكري القرن الثامن الهجري، نجده قد أنتج مادة غزيرة ترتبط بالمرجعية القبلية، والبعدية، وترتبط بمواضع وجوب الربط، والأشياء التي تحتاج إلى رابط"<sup>(5)</sup>.

---

(1) إذا وقع الضمير الذي يربط جملة الخبر بالمبتدأ جاز حذفه، ومنه قراءة ابن عامر: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ

الْحُسْنَى﴾ [الحديد:10] برفع "كل" فهو مبتدأ، وجملة: "وعد" خبر حذف منه الضمير العائد المنصوب

مفعولاً به، والتقدير: وعده. ينظر: حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي (ص230).

(2) ابن هشام، مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب (ص647).

(3) عبد الراضي، من أسرار المخالفة بين الضمير ومرجعه في القرآن الكريم (ص13).

(4) ينظر: الفقي، علم اللغة النصي (ج1/143).

(5) الفقي، علم اللغة النصي (ج1/143).

إضافة للنحاة فقد أدرك شراح الأحاديث أهمية الضمير في الربط بين أجزاء النص، وهذا مثالٌ يوضح من خلاله دور الضمير في ربط أجزاء النص عند الشراح، فقد ورد في الحديث: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَائِيرِهَا"<sup>(1)</sup>.

قال ملا علي القاري (ت1014هـ): "فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ": بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ مِنَ الْحِيَازَةِ، وَهِيَ الْجَمْعُ وَالْضَّمُّ "لَهُ": وَالضَّمِيرُ عَائِدٌ لِمَنْ رَابِطٌ لِلْجُمْلَةِ، أَي: جُمِعَتْ لَهُ"<sup>(2)</sup>.

إضافة لذلك فإنهم تحدثوا عن أثر الضمير في التماسك النصي، ففي الحديث: "عَنْ أَبِي شَرِيحٍ أَنَّهُ قَالَ لِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ وَهُوَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ أَذْنُ لِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَحَدْتُكَ قَوْلًا قَامَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ الْغَدَ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ سَمِعْتُهُ أَذْنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي وَأَبْصَرْتُهُ عَيْنَايَ..."<sup>(3)</sup>.

قال السندي<sup>(4)</sup>: "وَضَمِيرُ "سَمِعْتُهُ"، و"وَعَاهُ" للقول، أَي: حَفَظَهُ قَلْبِي، وَضَمِيرُ "أَبْصَرْتُهُ" للنبي ﷺ، وَتَفَكُّيكَ الضَّمِيرُ مَعَ ظُهُورِ الْقَرِينَةِ لَا يَضُرُّ، وَالْمَقْصُودُ الْمَبَالِغَةُ فِي تَحْقِيقِ حَفَظِهِ ذَلِكَ الْقَوْلَ وَأَخَذَهُ عَنْهُ عَيَانًا"<sup>(5)</sup>.

أما أهمية الضمائر عند علماء اللغة المحدثين فترجع إلى ما تؤديه من وظيفة ربطية دلالية في الجملة العربية، وهذا ما لا يوفره غيرها من الأسماء؛ إذ يؤتى بها إيجازاً واختصاراً، كما أن أهميتها في الربط، والإحالة، والتماسك<sup>(6)</sup> شكلياً ودلالياً لا تتوقف على كونها نائبة أو معوضة عن الأسماء، أو الأفعال، أو العبارات، بل إن وظيفتها "تتعدى الجملة

(1) [الترمذي: سنن الترمذي، الزهد/باب، 574/4: رقم الحديث 2345].

(2) [القاري، مرقاة المفاتيح (ج8/3250)].

(3) [البخاري، صحيح البخاري، العلم/ليبغ العلم الشاهد الغائب، 32/1: رقم الحديث 104].

(4) هو محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (ت1726م): فقيه حنفي عالم بالحديث والتفسير والعربية. أصله من السند ومولده فيها، وتوطن بالمدينة إلى أن توفي. ينظر: الزركلي، الأعلام (ج6/253).

(5) السندي، حاشية السندي على سنن النسائي (ج5/205).

(6) عرف الدكتور سمير استيتية التماسك (Cohesion)، بقوله: "التماسك مجموعة من العلاقات اللفظية أو الدلالية بين أجزاء النص، إذ تلتحم هذه الأجزاء، ويتماسك بعضها مع بعض بحيث إذا غاب هذا الالتحام، ظهر النص وكأنه أشلاء ومزق لا رابط بينها". استيتية، منازل الرؤية (منهج متكامل في قراءة النص) (ص20).

إلى الخطاب (النص)، فإذا كان النص متوالية من الجمل؛ فإن الضمائر تساهم في ترابطها، مما يجعلها لحمة متماسكة يصعب الفصل بين عناصرها<sup>(1)</sup>.

يقول الدكتور صبحي الفقي: "إنَّ ما يقال عن وظيفة الضمير في الجملة يمكن أن يقال مثله على مستوى النص<sup>(2)</sup>، فليست وظيفة الضمير هي الإحلال فقط، أو التعويض عن الاسم الظاهر، لكن تتعداها إلى كونه رابطاً يحقق التماسك النصي، ومن ثمَّ له أهميته القصوى في التحليل النصي"<sup>(3)</sup>. وقد ضربوا لذلك مثلاً بجملة "شرح الطبيب العملية، ثمَّ بدأ في تنفيذ العملية"، فهي جملة مطولة ركيكة، والأحرى أن تختصر بجملة "شرح الطبيب العملية، ثمَّ بدأ في تنفيذها"، ويلاحظ أنَّ المتكلم يستغني بحرف واحد عن اسم بأكمله، كما أنَّ بالضمير يؤمن اللبس على المخاطب؛ لأنها كنايات عن أشخاص مقترنة بأحوالها<sup>(4)</sup>.

**وخلاصة القول:** إنَّ الضمير عند علماء اللغة المحدثين "ليس له وظيفة شكلية فقط؛ بل وظيفته دلالية كذلك؛ لأنَّ الدلالة تكون في كثير من الأحيان غامضة، وكذلك الجمل تبقى متأثرة ولا رابط يربطها إلى أنَّ تظهر الضمائر؛ لتمثل ذلك الجسر الذي يوصل بين هذه المتأثرات، ويربط بينها، فالضمائر مع غيرها من الوسائل تكون مستوى نصياً عالياً من الاتساق"<sup>(5)</sup>.

يقول جون لاينز: وتعتبر الضمائر من الناحية التقليدية بدائل عن الاسم، لكنَّ أغلب فروع الضمائر لها أيضاً وظيفة مختلفة يمكن أن يقال إنها أكثر أهمية من النيابة عن الاسم الذي سبقها، وهذه هي وظيفتها الدلالية، أو التشخيصية<sup>(6)</sup>، وهنا لابدَّ من الإشارة إلى أنَّ الترابط بين أجزاء الوحدة الكلامية يكون عن طريقين:

**الأول:** الإعراب، ويضم ثلاثة جوانب، وهي: الموقع الإعرابي، والحالة الإعرابية، والعلامة.

---

(1) ينظر: العوادي، سياق الحال في كتاب سيبويه (ص210).

(2) يعرف النص عند علماء اللغة المحدثين بأنه: "وحدة كَلِمَة مترابطة الأجزاء، فالجمل يتبع بعضها بعضاً وفقاً لنظام سديد، بحيث تُسهم كلُّ جُمْلَة في فهم الجملة التي تليها فهماً معقولاً، كما تُسهم الجملة التالية من ناحية أخرى في فهم الجمل السابقة عليها فهماً أفضل". العبد، اللغة والإبداع الأدبي (ص36).

(3) الفقي، علم اللغة النصي (ج1/148).

(4) ينظر: العوادي، سياق الحال في كتاب سيبويه (ص210).

(5) الفقي، علم اللغة النصي (ج1/162).

(6) لاينز، اللغة والمعنى والسياق (ص252).

**الثاني:** الرتبة، ويقصد بها الموضع الأصلي للكلمة في السياق اللغوي، وهي رتبة محفوظة، ورتبة حرة متغيرة.

وتمتاز الضمائر عن بقية الأقسام الكلامية من حيث المبنى والمعنى بالسلمات الثلاث الآتية:

1- من حيث الصورة الإعرابية: كلُّها مبنيات لا تظهر عليها الحركات، وإنَّما تنسب إلى محلها الإعرابي.

2- من حيث الصيغة: كلُّ الضمائر لا تنتمي إلى أصول اشتقاقية، ولا تتصل أسبابها من ثم بصيغ أخرى.

3- من حيث الرتبة: الضمائر بصورة عامة راسخة القدم في حق الافتقار، والرتبة، لذلك فلا بدَّ أن تكون ذات مراجع متقدمة عليها في اللفظ، أو في الرتبة، أو في كليهما، والأغلب في هذا المرجع أن يكون اسماً ظاهراً محدداً المدلول، ومن هنا يكون تحديد دلالة هذا الظاهر قرينة لفظية تعيّن الإبهام الذي كان الضمير يشتمل عليه بالوضع؛ لأنَّ معنى الضمير وظيفي، وهو الحاضر، أو الغائب على إطلاقهما، فلا يدلُّ دلالة معجمية إلا بضميمة المرجع، وبواسطة هذا المرجع يمكن أن يدلَّ الضمير على معين، وتقدم هذا المرجع لفظاً، أو رتبةً أو هما معاً، ضروري للوصول إلى هذه الدلالة<sup>(1)</sup>.

وبناء على هذا فإنَّ "الضمير على وجه العموم فارغ الدلالة، بمعنى أنَّ دلالاته في المعجم تمثل صفراً، وبالتالي لا يقوم بدوره إذا استخدم منفرداً، بل لابدَّ له من تركيب يعمل من خلاله، كالحرف الذي يحتاج إلى مجرور، فهو يحتاج إلى تراكيب يستطيع من خلالها أن يقوم بدوره"<sup>(2)</sup>.

**وخلاصة القول:** إنَّ الوحدة الكلامية المكونة من المبتدأ والخبر - مثلاً - وحدة كلامية بسيطة، والرابطة الكبرى بين ركنيها هي الإسناد الخبري، ويتعاون معه أمور تعمل على تقوية الترابط بينهما منها اسمية المبتدأ، وتعريفه، والحالة الإعرابية، والمطابقة بينه، وبين الخبر في الجنس والعدد، وإذا كان خبر المبتدأ جملة، فلا بدَّ أن تحوي رابطاً يربطها به، وهذا الرابط إمَّا أن يكون ضميراً ظاهراً نحو: "زيد أبوه قائم"، أو مقدر نحو: "السمن منوان"<sup>(3)</sup>

(1) حسان، اللغة العربية معناها ومبناها (ص111).

(2) البنية الدلالية والإحالية للضمائر (ص15).

(3) مَوَانٍ وَمَنْبَانٍ: تَنْثِيَةُ الْمَنَّا وَالْمَنَاءُ: كَيْلٌ أَوْ مِيزَانٌ. ج : أَمْنَاءٌ وَأَمْنٌ وَمُنًى وَمُنًى. ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط (ص1722).

بدرهم"، ففيه ضمير محذوف يرجع إلى المبتدأ، أي: منوان منه بدرهم، وقد تختلُّ الرابطة بين أجزاء الوحدة الكلامية باختلال أحد أسبابها، فينجم عن ذلك لبس، وتعقيد في دلالة الوحدة، أو قد يؤدي إلى أن يكون للوحدات الكلامية معانٍ متعددة تؤدي إلى الغموض الدلالي<sup>(1)</sup>، الذي ينشأ من الاشتراك في العلاقة النحوية بين أجزاء التركيب، ولعلَّ من أهم أسباب الاشتراك في العلاقة النحوية التردد في مرجع الضمير<sup>(2)</sup>.

لذلك فلا بدَّ من وجود وسائل لغوية تعمل على تنظيم عناصر عالم الخطاب مرة أخرى، وتؤدي إلى تماسكه، "وتعد الروابط الإحالية قسماً مهماً لتشكيل هذا الاتحاد، درسه النحاة من خلال الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة"<sup>(3)</sup>.

#### رابعاً: أهم الشروط التي يجب توافرها بين الضمير ومفسره:

يقوم الضمير بدور كبير في تحقيق التماسك النصي "وخاصة ضمير الغائب (هو)، والذي له ميزتان، الأولى: الغياب عن الدائرة الخطابية، والثانية: القدرة على إسناد أشياء معينة، وتجعل هاتان الميزتان من هذا الضمير موضوعاً على قدر كبير من الأهمية في دراسة تماسك النصوص"<sup>(4)</sup>.

وبالرجوع إلى جهود اللغويين ظهر أنهم قد تحدثوا عن علاقة الضمير بالمرجع، وبيَّنوا أنَّها علاقة لزومية؛ إذ يلزم كلَّ ضمير أن يكون له مرجع يدلُّ على المراد منه، ويعين المقصود به، ووجود الضمير دون المرجع ضرب من التعمية والإبهام، لذلك كان من الضرورة ألا يضمّر إلا بعد أن يعلم المرجع، قال سيبويه: "إنما تضرر اسماً بعدما تعلم أن من يحدث قد عرف من تعني، وما تعني، وأنت تريد شيئاً تعلمه"<sup>(5)</sup>.

وظهر أنهم ذكروا أنَّ الضمير قد يتقدم لفظاً، أو معنىً، أو حكماً، كما اشترطوا مجموعة من الشروط بين الضمير ومرجعه، ومن أهمها:

---

(1) عرف علماء اللغة المحدثون مصطلح الغموض، بقولهم: "إن البناء اللغوي الذي يقال عنه إنه غامض هو

البناء الذي يحتمل، أو يرتبط به أكثر من معنى". خليل، العربية والغموض (ص30).

(2) ينظر: العبيدان، دلالة تراكيب الجمل عند الأصوليين (صص229-231).

(3) بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة (ص80).

(4) ظاظا، النقد النصي (صص247-248).

(5) سيبويه، الكتاب (ج6/2). وقد عقب الدكتور جميل علي محمد عرابي على كلام النحاة السابق فقال: "ولا نوافقهما على هذا الرأي إذ في القرآن آيات كثيرة ذكر فيها ضمير الغائب دون أن يكون له مرجع ظاهر، بل قد يتعدد هذا المرجع". عرابي، عود الضمير على غير مذكور في القرآن الكريم (ص59).

- 1- يجب أن يكون لكل ضمير مفسر.
- 2- الضمير ومفسره يجب أن يتساويا في الأفراد، والتنثنية، والجمع.
- 3- مفسر الضمير يجب أن يكون متقدماً عليه، إلّا في بعض الحالات التي نص عليها العلماء.
- 4- الضمير ومفسره يجب أن يتفقا في الجنس تذكيراً وتأنثاً.
- 5- أن يدلّ سياق الكلام على المفسر التزاماً لا تضامناً، وهذا الالتزام للمفسر نوعان: قريب، وبعيد، وهكذا يظهر دور السياق في بيان مرجع الضمير، وأنّ له ضوابط من خلالها يمكن بيان مرجع الضمير<sup>(1)</sup>.
- 6- الأصل إذا سبق الضمير بمذكورين، أو أكثر أن يكون راجعاً إلى أقرب مذكور، ولا يكون لغيره إلّا بدليل، وبذلك يكون خالياً من الإبهام والغموض، ويسمى هذا المفسر مرجع الضمير<sup>(2)</sup>.

وبالرغم من وجود المنهج الذي رسمه اللغويون لعلاقة الضمير بمفسره، فإنّ إرجاع النظر في اللغة يفيدنا "أنّ السبيل قد تشعبت بهذه العلاقة إلى سبل عدّة، فوجد الضمير، وليس ثمّة مفسر يتقدمه، وقُدّم الضمير وآخر المفسر، وخولف بينهما في العدد والجنس"<sup>(3)</sup>، وكلّ هذه الأمور يمكن أن تعالج من خلال السياق.

#### خامساً: المقصود بمرجع الضمير:

ذكر العلماء أنّ هناك مجموعة من الخصائص التي تتميز بها الضمائر، فهي كلّها لا تخلو